لاختلاف ظروف كل طرف من الطرفين ... الا أن هذه الخلافات تميزت ، مع ذلك ، في حالة الانقاذ بالحدة والانفعال والبعد عن الموضوعيـــة . فالقاوقجي المعروف بهدوئه وببرود أعصابه لا يرى أسبابا للفشل والنكبة ، حين يتحدث عن سقوط يافا مثلا ، الا « الاهمال والطموح وقصر النظر والتدريب السيىء للموظفين الكبار الذين كانوا يعالجون قضية فلسطين »(٩٣)، وهو هنا يقصد بالطبع اللجنة العسكرية وليس غلوب وكلايتون وأعوان الانكليز ولم يخطر في باله ان يكون ضعف الحركة الوطنيـــة وطبيعة الانظمة العربية ونفوذ الانكليز وغير ذلك من أسباب جذرية يمكن أن تفسر تلك الظواهر التي كان يشكو منها ، والتي هي ، بنظر الطرف الآخر ، أقل ما كانوا يرددونه ويقولونه عنـــه شخصيا .

هذا عن العلاقات الداخلية على المستوى الرفيع ، بين القيادة العامة وقيادة الميدان . ولكن ماذا عن العلاقات ضمن الجيش ذاته، بين قيادة الميدان ووحدات الجيش وافرادها؟ ان أول ما يلفت النظر في نوعية هذه العلاقة هو غياب هيئة أركان عامة في قيادة الميدان لتتعامل مع قادة الافواج العاملين في مختلف المناطق التي تواجدوا فيها . كان التعامل يتم بالاتصال المباشر بين قائد الجيش وقائد الفوج رأسا . فالقاوقجي يخاطب من قبل قادة الوحدات لحل المشاكل الادارية والمالية والتسليحية والامنية والتعبوية ، وليس كما هو المتبع في الجيوش النظامية حيث يتم الاتصال بالجهة المختصة في هيئة الاركان ، بل كثيرا ما كان يحدث ما هو أكثر من هذا بأن يلجأ بعض قادة الافواج الى تجاوز القاوقجي للاتصال بالقيادة العامة مباشرة ، كما ان الهاشمي كثيرا ما كان يتجاوز قائد الانقـــاذ ليخاطب قادة الافواج مباشرة ، وهذا ما يخالف بالطبع أبسط أصول الضبط والتسلسل المعمول بها عادة في الجيوش النظامية ... هذا ولقد حدث ان اصدر الهاشمي أوامر حركة لبعض الوحدات العاملة في المنطقة الوسطى دون استشـــارة القاوقجي (أبرق للرائد عبد الحميد الراوي ، قائد فوج اليرموك الثالث ، لينجد القدس ، فيما كان مشتبكا بمعركة باب الواد على سبيل المثال) ... وليس هذا فحسب بل ان « أحد الضباط الاكفاء ، وهو معروف بشدة انضباطه ودقته وتنظيمه وبسالته ، بلغ التجاوز عنده ، بعد خدمة ثمانية أشهر في قوات الانقاذ ، انه لجأ الى تعميم كتاب استقالته من الانقاذ على جهات سياسية وعسكرية عديدة » ، وهذا ما يجسد أبسط ظواهر التناقض مع العادات العسكرية التقليدية المعروفة .

وهناك ظواهر أخرى عديدة أبرزت مدى الابتعاد حتى عن تجسيد الاساليب العسكرية التقليدية ومنها بل في مقدمتها الالتزام الصارم بتنفيذ الاوامر . ان الرائد الركن عامر حسك يعدد في كتابه حوادث عدة لرفض بعض الضباط تنفيذ أوامر حركة وقتال . من ذلك رفض الملازم حاجو ان ينجد حامية صفد رغم صدور الاوامر اليه(٩٤)... ومـــن « بوادر انحلال الضبط » التي يشير اليها حسك رفض الملازمين سعدون وعلوش تحريك السريتين اللتين يقودانهما ، لانجاد صفورية والناصرة بحجة انهما أرسلا الى الشجرة لا الى الناصرة ... ثم لانهما يتلقيان أوامرهما من القاوقجي بالذات(٩٥)... أي ان ولاء الضابطين ـــ عدا رفض تنفيذ الاوامر ـــ هو لشخص قائد الجيش وليس للقيادة ، لشيخ القبيلة ، باعتبار ان الضابطين بدويان ... ولم يعاقب الضابطـــان بل ان احدهمـــا ـــ علوش ـــ رفع بعد هذه الحادثة بأسابيع قليلة وسلم قيادة فوج .

كذلك شهدت تجربة الانقاذ خلافات وصراعات علنية مكشوفة بل وحتى التحريض من قبل ضابط ضد آخر . ما جرى في يافا بين عادل نجم الدين ـــ قائد الحاميـــة ـــ وميشال العيسى ، الذي عين بدلا عنه ، لا يمكن ان يحصل في اي جيش نظامي ، وكذلك حدث ما هو أسوأ بين الملازم الاول عبد الجبار القيسي والملازم حمود الخطيب في يافا اذ حرض الاول جنود الثاني على قائدهم ودعاهم للعصيان ومغادرة مواقعهم في يافا(٩٦) .